الهدي التام في موارد المولد النبوي

وما اعتيد فيه من القيام

لعبد ربه وأسير ذنبه خادم العلم والطلبة الكرام بالحرم الآمن والمسجد الحرام

محمد علي بن حسين المالكي المكي

عامله ووالديه وأشياخه وإخوانه المسلمين بلطفه الخفي وإحسانه

الوفي اللهم آمين

مع مقدمة المولد النبوي الشريف

بقلم

خادم العلم والمعرفة

إبراهيم بن شعيب المالكي المكي

١٤٢١هـ

المدخل

ما هو المولد النبوي ؟

المولد عند العلماء المؤيدين هو اجتماع الناس على قراءة ما تيسر من القران ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي ﷺ وما وقع في مولده من الآيات حتى إذا بلغ القارئ وولدته أمه مختوناً قام الجميع إجلالاً وتعظيماً ووقفوا يرددون الترحيب المعروف :

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع

ثم إنهم يتناولون طعاماً صنع بمبادرة أحد المحسنين وقد يكتفون بذواق خفيف وكثيراً ما يقوم بعض العلماء في مثل هذه المناسبة بالقيام بواجب الوعظ والإرشاد فيشتمل المولد على أصناف من الخير وأنواع من البر .

أصل المسألة

هل للمولد أصل يرجع إليه ؟

فلا يكون حينئذ بدعة ، أم ليس له أصل فهو بدعة ؟ ، ثم يجري الخلاف بعد ذلك هل كل بدعة ضلالة ، أم أن البدعة تنقسم إلى الأحكام الشرعية الخمسة ؟

والجواب الواضح من العلماء الثقات هو أن للمولد أصل يرجع إليه ومن هؤلاء العلماء الذين أجابوا بهذا هم :

الحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري شرح صحيح البخاري ، والإمام السيوطي ، فهذان الإمامان من أوائل من صرح بأن للمولد النبوي أصل يرجع إليه وسنذكر كلامهما فيما بعد إن شاء الله .

وأما بالنسبة لتقسيم البدعة إلى الأحكام الشرعية فذلك ما جرى عليه الأئمة كالعز بن عبد السلام ، والإمام أبي شامة شيخ الإمام النووي ، والإمام النووي نفسه ، والشافعي ، وابن حزم الظاهري ، والقرافي ، والغزالي ، وابن الأثير ، وابن الجوزي .

وقال بعدم التقسيم : الشاطبي ، وابن حجر المكي ، وابن رجب الحنبلي ، والزركشي ، والظاهر أن الراجح هو قول من قال بالتقسيم لأن الذين قالوا بعدمه قد قرروا قبول ما سماه الفريق الأول بدعة حسنة لكن سموه مصلحة مرسلة .

والحاصل : أن جميع العلماء متفقون على القول بحدوث البدعة ولكن الفريق الأول يقيدها بالعبادات أو العادات التي يقصد بها التعبد ويقول إنها مذمومة ، أما الفريق الآخر فإنه لا يقيدها ، بل يطلقها وقد أدى بهم ذلك إلى الاضطراب أمام أعمال حدثت بعد أن لم تكن في زمن السلف وفيها من الخير والمصلحة ما لا ينكره فسموه

مصلحة مرسلة في الوقت الذي يسمى الفريق الأول تلك المحدثات بدعة حسنة ولا ينكر أن تسمى مصلحة مرسلة ؛ لذلك قلنا أن القول بتقسيم البدعة هو الراجح والله أعلم .

أصل الخلاف

وأصل الخلاف نشأ من الافتراق في فهم حديث ((كل بدعة ضلالة)) قال البركلي في (الطريقة المحمدية) كما في (إقامة الحجة على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة) للإمام اللكنوي ص٥٦ : وما أشنع صنيع علماء زماننا هذا حيث افترقوا فرقتين : ففرقة [1] حصر السنة على ما وجد في العهود الثلاثة وجعل ما حدث بعدها بدعة ضلالة ، ولم ينظر إلى دخوله في أصول الشرع ، بل منهم من حصرها على ما وجد في الزمان النبوي ، وجوز كون محدث الصحابة بدعة ضلالة .

وفرقة اعتمد ما نقل غن آبائهم وأجدادهم وما ارتكبه مشايخهم ، وأدخل كثيراً من البدع الحسنة اعتماداً عليهم وإن لم يكن له أصل من أصول الشرع . ولما ردت الفرقة الأولى بحديث ((كل بدعة ضلالة)) فرّت الفرقة الثانية إلى تخصيص الحديث .

(١) أي قسم منهم ، ولذا ذكّر الأفعال الآتية .

وإلى الله المشتكى من هذه المنازعات والمخاصمات ، يظنون أنها تفيد كلا والله هي تضر ، ولولا خوف إطالة الكلام لنصصت على خطأ الفريقين فيما جعلوه من البدع الحسنة وهي ليست بحسنة ، وما جعلوه من البدع السيئة وهي ليست بسيئة ، متجنباً عن الإفراط والتفريط ، سالكاً مسلكاً بين بين . أ.هـ

قلت : ينبغي لك أخي الكريم أن تأخذ هذا الكلام بعين الاعتبار إن كنت حقاً تريد الحق لأن الذين اضطربوا في مسألة المولد خفي عليهم فحوى مثل هذا الكلام .

والآن فلننظر إلى موقف العلماء من المولد :

أولاً : موقف المانعين : يقوم موقفهم على عموم قوله ﷺ : ((كل بدعة ضلالة)) فالمولد عندهم بدعة وهم يرفضون أي تقييد أو تخصيص لعموم الحديث .

ثم إن هؤلاء المانعون أقسام :

١- المتشددون الرافضون لأي نوع من الأعذار لخصومهم .
٢- المعتدلون المنصفون الذين لا يغضون النظر عن أدلة المخالفين بالكلية .

ثانياً : موقف المؤيدين :يقوم موقفهم على أساس تقييد أو تخصيص عموم حديث ((كل بدعة ضلالة)) وتقسيم البدعة

إلى حسنة وسيئة أو تقسيمها تبعاً للأحكام الشرعية ومـــن ثـــم فالمولد من البدع الحسنة ، ونستطيع أن نقول أن هؤلاء أيضـــاً أقسام :

١- مؤيدون نظرياً وعملياً وأكثر هؤلاء مـــن المتشـــددين الذين يرفضون أي نوع من التنازل . وبعضهم الآخـــر يسلكون سبيل الحكمة للوصول إلى نوع من الاتـــفاق لأن القضية اجتهادية .

٢- مؤيدون نظرياً فقط لذلك فهم معتدلون يدعـــون إلـــى تضييق دائـــرة الخلاف بالحوار والتفاهم بـــالتي هـــي أحسن .

هذه هي مواقف كل من الفريقين وفيما يلي نقدم أدلة كل فريـــق وبالله التوفيق .

الأدلـــــة

أما أدلة المانعين فهي عمومات الأحاديث التي يحتجـــون بـــها وهي عمومات غير مسلمة لهم وهم يعلمون ذلك .

إلا أنهم بطبيعة الحال يخطئون من يخالفهم ويتمسكون بمذهبهم في ذلك تمسكاً قوياً يساعدهم في ذلك عـــدم قـــدرة خصومـــهم علـــى

التطاول الزائد الذي قد يفسر بأنه منازعة للشـــارع . مـــع أن النقـــاش الهادئ والبحث النـــزيه قد يوصلان إلى إمكانية النظر فيمـــا إذا كـــان تقييد أو تخصيص تلك العمومات ممكن أم لا .

وأما أقوى أدلة المؤيدين فهي استنباطاتهم القياسية من الآيـــات القرآنية والآثار المروية كحديث صوم يوم الاثنين لأنه يـــوم الـــولادة الشريفة وصيام يوم عاشوراء لأنه علل بأنه شكر لله لما نجى موســـى وقومه من فرعون وجنوده وغير ذلك وهي استنباطات أصولية معتـــبرة في دائرة الاجتهاد .

الردود بين الطرفين

١- دفاع المؤيدين :

أنهم لا يسلمون بأن المولد بدعة ضلالة . لأنـــهم باجتـــهادهم يرون أنه تشمله القواعد الكلية ولم يخرج عن الضوابط المعتـــبرة فـــي الاستنباطات الشرعية . إنه عندهم يدخل تحت قولـــه تعـــالى : ﴿ **قـــل بفضل الله وبرحمتـــــه فبذلك فليفرحوا** ﴾[١] ويدخل تحت قوله تعـــالى : ﴿ **وافعلوا الخير** ﴾ ويستندون استناداً قوياً إلى وجـــوب احترامـــه

---

(١) سورة يونس : ٥٨ .

وتوقيره . واستحباب كل ما يشعر بتعظيمه له أصل في الشريعة لذلك كله فإنهم لا يسلمون بأنه بدعة ضلالة .

٢- رد المانعين :

أنهم يزيفون كل أدلة المؤيدين بحجج نقلية لا جدال في ثبوتها لكن الخلاف في كيفية فهمها وتطبيقها لذلك جعلوا المسألة تحدي كما قال أحدهم .

هل يستطيعون أن يأتوا لنا بقول أو فعل أو استحسان للموالد والاحتفال بها من السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابع التابعين وصلحاء الأمة من فقهائها ومحدثيها وزهادها وعبادها ، لا شك أنهم سيعجزون عن أن يأتوا بما تحديناهم أن يأتوا به ، ولهذا نكتفي بهذا التحدي لثقتنا في جدواه .[١]

فرد عليهم المؤيدون :

إن ممن قال باستحسان المولد من الأئمة ابن حجر والسيوطي وأبي شامة وابن ناصر الدين الدمشقي والحافظ العراقي والسخاوي والملا علي قاري والحافظ ابن الديبع ، وإمام القراء في عصره شمس الدين ابن الجزري وغيرهم .

(١) انظر كتاب حوار مع المالكي .

قلت : وبهذا يظهر أن المؤيدين قد كسبوا التحدي بدون جدال .

رد المانعين :

فرد المانعون بما خلاصته : السيوطي حاطب ليل وجارف سيل وابن حجر ثقة في النقل أما في الاستنباط فهو دون الأئمة وبقية المذكورين هم رجال ونحن رجال ، والحق لا يعرف بالرجال .

قلت : لكنكم طالبتم بأحد من السلف قال بجواز الاحتفال بالمولد ، فهل هؤلاء من السلف أم لا ؟ فإن لم يكونوا من السلف فهل هم من فقهاء ومحدثي وزهّاد الأمة أم لا ؟ فإن لم يكونوا كذلك فيا ليت شعري من هم علماء الأمة ؟

ومن أقوال المانعين :

أن الاحتفال بالمولد لم تشمله الأدلة الشرعية العامة أو الخاصة فلم يكن من رسول الله ﷺ ولا أصحابه ولا التابعين ولا تابعيهم احتفال بمولد الرسول ﷺ لا بشكل جماعي ولا بشكل فردي ولم تكن قصائد مدحه ﷺ تنشد في ذكرى مولده المتكررة بتكرر السنين والأعوام ، وإنما كانت تلقى في مناسبات تقتضيها الأحوال وما ثبت عنه ﷺ في صومه يوم الاثنين في كل أسبوع وتعليله بأنه يوم ولد

فيه ، لايعتبر دليلاً على إقامة احتفال بمولده ﷺ لأن صوم يوم من كل أسبوع ليس بإقامة مولد احتفال سنوي .[١]

فرد المؤيدون :

إن الحافظ ابن حجر قال وقد ظهر لي تخريج الاحتفال بالمولد على أصل ثابت ثم ذكر قصة اطلاع النبي ﷺ على صوم يوم عاشوراء شكراً لله على نجاة موسى وقومه من فرعون وجنوده فقال ﷺ : ((نحن أولى بموسى منهم فصامه وامر بصيامه)) . فيستفاد منه فعل الشكر على ما منّ الله به في يوم معيّن اسداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك في نظير اليوم من كل سنة والشكر يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم .

وقال الحبيب العلامة السيد حامد المحضار : ولدينا دليل آخر مدني أنصاري نقله إمام السنة أحمد بن حنبل وحكاه عنه شيخ الإسلام ابن تيمية قال أحمد : ثبت أن الأنصار قبل قدوم الرسول ﷺ قالوا : لو نظرنا يوماً فاجتمعنا وذكرنا الأمر الذي أنعم الله به علينا ، فقالوا : يوم السبت ، فقالوا : لا نجامع اليهود في يومهم ، قالوا : الأحد ، قالوا : لا نجامع النصارى يومهم ، قالوا : فيوم العروبة ، وكانوا

(١) انظر كتاب حوار مع المالكي ص١٢١ .

يسمون يوم الجمعة يوم العروبة . فاجتمعوا في بيت أبي أمامة أسعد بن زرارة فذبح لهم شاة فكفتهم .

قلت : وهذا من أوضح أدلة المؤيدين .

وقول المانعين أن هذا الاجتماع كان لأجل صلاة الجمعة يرد عليه سياق النص إذ كيف يتشاورون في اختيار يوم يصلون فيه الجمعة وهو يوم محدد معروف .

فإذا اشتد المخالف وقال بل هو كذلك ، فبما يفسر قولهم لو نظرنا يوماً فاجتمعنا وذكرنا هذا الأمر الذي أنعم الله به علينا ؟

ومن قال من المؤيدين أن أقوى الأدلة على جواز الاحتفال هو صيامه صلىالله عليه وسلم يوم الاثنين فلما سئل عن ذلك قال : ((ذاك يوم ولدت فيه)) فأشعر ذلك إلى مشروعية الاهتمام بالحدث الذي وقع فيه ، فقد صدق لأن المانعين أنفسهم قد سلموا ضمناً لهذا الدليل فيما يتعلق بالتأصيل لكنهم يقولون : إن المؤيدين لا يصومون وإنما يصنعون أشياء أخرى . وقد علمت أن الحافظ ابن حجر قد قال إن الشكر المعبر عنه بالصيام منه ﷺ يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة . فهذا أصل ثابت والقياس عليه جلي وأما العمل فلا بأس بكل ما يُفهم الشكر لله تعالى ويُشعر بتعظيم النبي ﷺ ويعبر عنه محبته والتعلق به ﷺ .

وهذه المحبة والتعلق هما حجر الزاوية بل مركز الدائرة في مسألة المولد حتى أن بعض المانعين قد اعترف بذلك صراحة .

فقد قال الشيخ أبو بكر الجزائري : وهو من المانعين في كتابه الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف ص٥٢ : إن مما ينبغي أن يعلم ويقال أيضاً تمشياً مع مبدأ الإنصاف من النفس أن أكثر الذين يقيمون حفلات المولد النبوي الشريف من المسلمين إنما يقيمونها حباً في رسول الله ﷺ وحب الرسول دين وإيمان وحب من يحب الرسول ﷺ واجب ، فلذا لا يصح من المسلم ولا ينبغي له أن يبغض أخاه المسلم لفعله بدعة كهذه قد وجد أكثر الناس في بلاده وفي العالم الإسلامي يفعلونها ولم يحمله عليها ولا دفعه إليها غالباً إلا عاطفة الحب لنبيه ﷺ والرغبة في التقرب إلى الله تبارك وتعالى بذلك ، وإلا كان ذلك إجحافاً غير لائق بمثله . وكما لا يصح أن يبغضه لا يصح أيضاً أن يصفه بالشرك والكفر لمجرد احتفاله بالمولد أو إتيانه الحفل إن دعي إليه فإن مثل هذه بدعة لا يكفر فاعلها ولا من يحضرها ووصم المسلم بالكفر والشرك أمر غير هين .

قال : وخلاصة القول في هذا أن بدعة المولد كثيراً ما تكون خالية من أفعال الشرك وأقواله ومن فعل المحرمات ففي هذه الحال ينكرها المسلم على إخوانه برفق ولين بعد تعليمهم حكمها الشرعي وترغيبهم في ترك البدع مطلقاً لأنهم ما فعلوها إلا بدافع الإيمان

والرغبة في الأجر فيراعي مقاصد الناس وبواعث أعمالهم وهذا من الحكمة التي أمر بها المسلم في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر . أ.هـ .

قلت : ومن الحجج التي يمكن أن يوردها المؤيدون هذا الحديث : عن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة يعني من أصحابه فقال : ((ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا ندعوا الله ونحمده على ما هدانا لدينه ومنّ علينا بك . قال : آلله ما أجلسكم إلا ذلك . قالوا : آلله ما أجلسنا إلا ذلك . قال : أما إني لم استحلفكم تهمة وإنما أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة))[١] .

فهذا الحديث فيه مسائل :

الأولى : جواز الاجتماع للذكر والدعاء .

الثانية : جواز تخصيص مجلس خاص لتذكر نعمة الهداية وشكر الله على ذلك .

الثالثة : جواز الاجتماع لشكر الله على منّته على الأمة بالنبي ﷺ ، فأنت إذا تأملت قولهم رضي الله عنهم ((ومنّ علينا بك)) علمت أن هذا الاجتماع هو من جنس الاجتماع الذي يسمى بالمولد من حيث القصد الأصلي فما المولد في حقيقته إلا اجتماع يقصد منه سماع سيرة

(١) رواه مسلم والنسائي – واللفظ له – والترمذي .

النبي ﷺ وتذكر منّة الله وفضله على الأمة بهذا النبي الكريم الرؤوف الرحيم ﷺ وبالله التوفيق .

ومن حجج المؤيدين القوية أيضاً :

أن قول المانعين أن ترك النبي ﷺ وأصحابه ومن بعدهم لعمل المولد في ذلك الزمان دليل على حرمته غير مسلّم لأن ما تركه النبي ﷺ أو السلف الصالح من غير أن يأتي حديث أو أثر بالنهي عن ذلك المتروك يقتضي تحريمه أو كراهيته لا يستدل بمجرده على حكم شرعي .

فالترك وحده إن لم يصحبه نص على أن المتروك محظور لا يكون نصاً في ذلك ، بل غايته أن يفيد أن ترك ذلك الفعل مشروع وأما أن ذلك الفعل المتروك يكون محظوراً فهذا لا يستفاد من الترك وحده وإنما يستفاد من دليل يدل عليه .

فإذا ترك الرسول ﷺ شيئاً فإن ذلك يحتمل وجهاً غير التحريم فقد يكون تركه عادة كتركه الأكل من الضب ، وقد يكون تركه نسياناً كالسهو في الصلاة ، وقد يكون تركه مخافة أن يفرض على أمته كتركه صلاة التراويح ، وقد يكون تركه لعدم تفكيره فيه فقد كان الرسول ﷺ يخطب على جذع ولم يفكر في اتخاذ كرسي حتى اقترح عليه الصحابة عمل منبر ففعل ، أو يكون تركه خشية تغير الصحابة

أو بعضهم كقوله للسيدة عائشة رضي الله عنها : لولا حداثة قومك لنقضت البيت ثم بنيته على أساس إبراهيم عليه السلام كما في الصحيحين .

فالترك يحتمل أنواعاً غير التحريم والقاعدة الأصولية : (أن ما ما دخله الاحتمال سقط به الاستدلال) فما لم يفعله الرسول ﷺ كالاحتفال بالمولد لا نقول أنه حرام لأنه افتراء على الله إذ الترك لا يقتضي التحريم .

قال الشافعي : كل ماله مستند في الشرع فليس ببدعة ولو لم يعمل به السلف ، فمن حرّم الاحتفال بالمولد النبوي الكريم بدعوى أنه بدعة حاججناه بما سبق وتلونا عليه قوله تعالى : ﴿ **آلله أذن لكم أم على الله تفترون** ﴾

إذن نستطيع أن نقول تبعاً لأهل العلم والتحقيق : أن أحق من يبتهج المسلمون بذكراه هو سيدنا محمد ﷺ ولذلك ليس هناك غضاضة في أن ينتهز المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها مناسبة ذكرى المولد النبوي الكريم لكي يتدارسوا فيها سنته ودعوته وأخلاقه وحياته ولكي يتفقهوا عندها في دين ربهم وكتابه ولعل ذلك يدفعهم إلى مزيد في عمل الخير وسعي البر .

وإننا نقول : أن الاحتفال إذا اعتدل واستقام عادة حسنة أراد بها الذين يخلصون الحب لرسول الله ﷺ أن تكون فرصة طيبة لتذكر شخصية الرسول ﷺ وسيرته وأخلاقه وسنته فإذا تم الاحتفال بهذه الذكرى على صورة إسلامية سامية ومنزهة عن كل ما يخالف الدين فإن نتائجه في النفوس الخيّرة تكون نتائج طيبة والقرآن الكريم يقول : **﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾** والمولد في هذا الوقت ربما يكون من أوكد الأمور المستحبة لأنه بسببه يذكر الرسول ﷺ في أوساط الشباب الذين صار ذكر الرسول ﷺ غريباً عنه لا يسمع به سماعاً يجعله يتعلق به في بيت ولا مدرسة ناهيك بالشارع ، فلأجل هذا ينبغي للمسلمين أن يحتفلوا بالمولد النبوي الشريف احتفالاً يفوق الوصف بالفرح والابتهاج ليكون إشعاراً لشبابنا التائه عن النبي ﷺ فتلقى المحاضرات والعظات والأحاديث والخطب وتعقد الاجتماعات في المساجد والجمعيات والأندية للاستماع إلى كل ما يتعلق بالإسلام ورسول الإسلام ﷺ ويمكن أن يعاون في ذلك الكتابة في الصحف والمجلات والحديث عن السيرة النبوية والدعوة الإسلامية عن طريق أجهزة الإعلام المختلفة في بلاد المسلمين ، وقد حدد شيخنا المجدد لهذه المفاهيم – الأستاذ الوالد السيد محمد بن علوي المالكي – مفهوم المولد في أنه درس في السيرة بكل ما تعنيه السيرة من معنى وما تحمله من أبعاد بغرس هذا المعنى في نفوس أولاده الطلاب ومريديه من الأحباب حتى أصبح مفهوم المولد لدى كل من يدور في فلكه أمراً عادياً يحصل بمجرد الاجتماع لأي غرض ديني أو دنيوي فالمجالس

كلها معطرة بذكر الرسول والصلاة عليه والكلام كله يدور فيما يتعلق بالرسول ﷺ ، فالحمد لله على ذلك ، وبقيت مسألة وهي مسألة مدح الرسول ﷺ بالقصائد والأناشيد النبوية فبعض الناس يرون ذلك غلوا والحق أن الغلو إنما يكون حينما يمتدح أحد بباطل أما إذا امتدح بحق فلا يكون غلوا مهما تفنن المادح أو أكثر . فمن يعتقد معنى هذا البيت :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

ثم مدح النبي ﷺ فأكثر وأكثر مهما أكثر فإن ذلك ليس غلوا فمدح الرسول ﷺ بما هو أهله ليس مباحا فقط بل هو واجب على كل مسلم ، لأن الله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه : **﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾** .

وصلاتنا عليه تتضمن مدحا له وثناء عليه وطلبا للمزيد من تكريمه عند الله عز وجل له قد مدح رسوله في القرآن الكريم في أكثر من موطن ، فقال : **﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾** وقال : **﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾** وقال : **﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾**

وقال : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾ .

والحاصل أن أهل مكة كانوا يذكرون مولد الرسول ﷺ بالخير وكان علماؤها يرون أن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف هو فرصة طيبة لإثارة قلوب المسلمين بالمعاني والمثل والأخلاق لذلك فهو عمل طيب عندهم قالوا به وأيدوه بالقول والعمل ومن العلماء المكيين الذين كتبوا في ذلك الإمام الشيخ محمد علي بن حسين المالكي المكي في رسالة سماها (الهدي التام في موارد المولد الشريف وما اعتيد فيه من القيام) وقد وصلتني هذه الرسالة عن طريق أحد أحفاد ابن عم المؤلف الأخ الأستاذ عدنان بن إبراهيم بن عبد العزيز بن جمال المالكي الذي تفضل مشكورا فأطلعني على نسخة منها وكانت غير مرتبة وفيها سقط يسير كما أن آلة التصوير ذهبت ببعض الحروف وأيضا لم تكن كاملة بل نقصت منها حوالي ثلاث ورقات من اخرها فشرعنا – في مجلة الصفة – في ترتيبها وتحقيق نصها فما كدنا ننتهي من إعدادها حتى بشرنا الأخ عدنان بحصوله على نسخة كاملة ومرتبة ضمن كتب جده فسررنا لذلك وطلبنا منه صورة منها فزودنا بها مشكورا فقارناها بالتي أعددنا فوجدناها مطابقة لها وفائقة عليها بما ذكرنا من الترتيب ووضوح الخط والخلو من السقط وعدم النقص فاستأذنا الأخ عدنان لنشرها لما لها من أهمية في نظرنا فهي رسالة قيمة كتبها إمام من أئمة العلم في الحجاز شهد له الفحول بالتقدم والرسوخ في جملة العلوم

الشرعية النقلية منها والعقلية وقد لاحظنا أن رسالته هذه أصل من الأصول في هذه المسألة لما اشتملت عليه من تحقيق وتدقيق فضلاً عما تميزت به من تنوع في مسالك الاستدلال فكانت بذلك من البراهين اليقينية على أن سبيل مسألة المولد كالسبيل في المسائل المجتهد فيها ، يعمل كل رجل ، بما يراه صواباً ، ويدين الله عليه ، ولا يفوق سهام الملامة إلى المجتهد الآخر الذي يخالفه في رأيه . فمن هو الرجل العلامة الذي وضع هذه الرسالة إنه سيبويه العهد الماضي المتفنن العلامة الفاضل الجليل والفهامة النبيل المتضلع من العلوم العقلية والنقلية الشيخ محمد علي بن حسين بن إبراهيم بن حسين بن محمد بن عامر المالكي العلامة الفاضل الجليل والفهامة النبيل المتضلع في العلوم النقلية والعقلية المدرس بالمسجد الحرام ولد سنة ١٢٨٧هـ بمكة ونشأ بها وقرأ على أخيه العلامة الشيخ عابد والعلامة الشيخ بكري شطا وغيرهم من الأفاضل وأخذ الإجازة في رواية الحديث من العلامة الشيخ عبد الحق الأبادي ثم المكي والعلامة الشيخ عبد الله القدومي الحنبلي والشيخ عبد الحي الكتاني وغيرهم ، توظف المترجم له في الحكومة الهاشمية في وظائف متعددة فصار أولاً عضواً في مجلس التعزيرات ثم صار مديراً في المدرسة الخيرية ثم مدير المعارف وعضواً في مجلس التدقيقات وله مؤلفات نافعة قد طبع غالبها ، منها تهذيب الفروق ، والقواعد السنية في الأسرار الفقهية وتوضيح المناسك على مذهب الإمام مالك ومسلك السادات إلى سبيل الدعوات وبلوغ الأمنية لفتاوى النوازل العصرية ، وتحقة الخلان في

علم البيان وشمس الأشراف في حكم التعامل بالأوراق ، وأنوار الشروق في أحكام الصندوق ، ورسالة في الرد على القاديانية ، وسعادة الدارين في نجاة الأبوين ، وعقود الفرائد في علم العقائد ، والصارم المبيد لمنكر حكمة التقليد ، والحواشي النقية على كتاب البلاغة ، وتقريرات على فيض الإله المالك في حل ألفاظ عمدة السالك ، وعدة الناسك ، وتقريرات على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع بحاشية الشيخ حسن العطار ، وتقريرات على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك ، وحاشية على الأشباه والنظائر للإمام السيوطي وحاشية على همع الهوامع شرح جمع الجوامع في النحو للسيوطي ، وحاشية على كتاب التلطف شرح التعرف ، ومنهل الإسعاف في بيان وجوب العمل بالتلفرات ، وضياء الأملاك بحديث لولاك ما خلقت الأفلاك ، ومقاصد التحكيم في بيان ثبوت شهر الصوم بالحساب والتنجيم ، وتحذير المسلمين من لبس البرنيطة وزي الكافرين ، وتدريب الطلاب في قواعد الإعراب ، والمقصد السديد في بيان خطأ الشوكاني فيما افتتح به رسالة القول المفيد وغير ذلك وقد انتقل إلى رحمة الله فضيلة العلامة المذكور بالطائف يوم الإثنين الموافق ٢٨ شعبان ١٣٦٧هـ عن عمر يناهز الثمانين قضى معظمه في خدمة العلم بالتدريس والتأليف وقد شيعت جنازته في موكب حافل إلى مقرها الأخير في المقبرة المجاورة لمسجد سيدنا عبد الله بن عباس بالطائف تغمده الله برحمته وغفرانه .

متن رسالة

الهدي التام في موارد المولد النبوي وما اعتيد فيه من القيام

لعبد ربه وأسير ذنبه خادم العلم والطلبة الكرام بالحرم الآمن والمسجد الحرام

محمد علي بن حسين المالكي المكي

عامله ووالديه وأشياخه وإخوانه المسلمين بلطفه الخفي وإحسانه الوفي اللهم آمين

اعتنى بها

خادم العلم والمعرفة

إبراهيم بن شعيب المالكي المكي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خص نبيه محمدا ﷺ بالسيادة العامة فهو سيد العالمين على الإطلاق بلا نزاع واختاره بعد أن نظر إلى قلوب عباده فبعثه بأحسن الشمائل وأوضح الدلائل ليتم مكارم الأخلاق لأمته في جميع البقاع ، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين ، اللهم صل أفضل صلاة وأكملها وأدومها وأشملها على صفوة الصفوة القويم الذي وصفته في كتابك العزيز بقولك ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ وأمرت أمته بتعظيمه بقولك في كتابك القويم ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون * إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم** ﴾ وعلى آله المطهرين وأصحابه القائمين بنصرة الدين .

أما بعد :

فيقول من لا قول له ولا حول ولا قوة ولا طول عبد ربه وأسير ذنبه خادم العلم والطلبة الكرام بالحرم الآمن والمسجد الحرام محمد علي بن حسين المالكي المكي عامله الله ووالديه وأشياخه وإخوانه المسلمين بلطفه الخفي وإحسانه الوفي إلى يوم الدين ، هذه

موارد عذبة ترام ، في حكم اجتماع المسلمين على قراءة سيرة وولادته ﷺ وما اعتيد فيه من القيام سميتها الهدي التام في موارد المولد النبوي وما اعتيد فيه من القيام ورتبتها على مقدمة وثلاثة موارد وخاتمة أسأل الله أن يجعلها من العمل الصالح المبرور الموجب لرياض المولى الغفور ويحسن لي به الخاتمة إنه على كل شيء قدير وبالإجابة لما يؤمله المؤمل حقيق جدير .

المقدمة

قال الشيخ يوسف الشلبي في الرسالة التامة فيما اضطربت فيه العامة : اعلم أن البدعة في اللغة كل شيء فعل على غير مثال ، وقال أبو عبيدة : البدعة المحدثة وهي في الشرع : المحدث الذي لم يفعل في عهد الرسول ﷺ ولم يدل عليه كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قياس ولا توقف عليه مطلوب إذ ما يتوقف عليه المطلوب مطلوب بدليله ، وليست كل بدعة محرمة إذ لو كانت كذلك لحرم جمع أبي وعمر وزيد رضي الله عنهم القرآن وكتبه في المصاحف خوفا على ضياعه بموت الصحابة أي القراء رضي الله عنهم وحرم جمع عمر الناس على قيام رمضان والمواظبة عليه وحرم عليه قوله بالنسبة إليه : نعمت البدعة هذه وحرم قول علي كرم الله وجهه : نور الله قبر عمر فقد نور مساجدنا أي بالنسبة للتراويح وحرم التصنيف في جميع العلوم النافعة ووجب علينا حرب الكفار بالرماح والسيوف والسهام حال حربهم لنا بالرصاص والمدافع وحرم علينا حربهم بالرصاص والمدافع في تلك الحال وحرم الأذان على المنارة واتخاذ المدارس والربط إلى غير ذلك مما له دخل في حفظ الشريعة مما لم يعهد في زمنه ﷺ .

وأما حديث : ((وكل بدعة ضلالة)) فقد قال صاحب الأزهار وغيره من أكابر العلماء : هو عام مخصوص المراد بها كل بدعة سيئة ويصرح بهذا القيد ما وقع من أكابر الصحابة والتابعين رضي الله

عنهم من المحدثات التي لم تكن في زمنه ﷺ ككتب القرآن في المصاحف والمواظبة على التراويح كما تقدم ، قال الشافعي رضي الله عنه : ما أحدث وخالف كتابا أو سنة أو اجماعا أو أثرا فهو البدعة الضالة ، وما أحدث من الخير ولم يخالف شيئا من ذلك فهو البدعة المحمودة . وقال العز بن عبد السلام والنووي وغيرهما رضي الله عنهم : البدعة تكون واجبة كتصنيف العلوم ، تعليم النحو والرد على أهل الزيغ وكل محدث له دخل في حفظ الشريعة ، وتكون مندوبة كإحداث الربط والمدارس وكون الأذان على منارة وصنع إحسان لم يعهد في الصدر الأول ، وتكون مكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف وتكون مباحة كالمصافحة عقب الصبح والعصر والتوسع في المآكل والمشارب والمساكن ... وتكون محرمة وهي المخالفة للكتاب والسنة وباقي الأدلة الشرعية وهي المرادة في حديث كل بدعة ضلالة ؛ وقال ابن الأثير : البدعة بدعتان ، بدعة هوى وبدعة الضلالة ثم عرف بدعة الضلالة المرفوضة بأنها : المخالفة للكتاب والسنة وباقي الأدلة الشرعية ولم يكن لها مثال سابق .

وعرف بدعة الهدى المحمودة بأنها التي وقعت في عموم ما طلبه الله ورسوله أو التي لم تكن مخالفة وليس لها مثال سابق كنوع من الجود والسخاء لم يكن في الصدر الأول ، ثم قال : لا يجوز أن تعتقد بدعة الهدى ضلالة مخالفة للشرع لأن الشارع سماها سنة ووعد فاعلها أجرا فقال ﷺ : ((من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها

بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء))(١)
قال وأما قوله ﷺ : ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))(٢) فقيّد العلماء الذي ليس منه بكونه منافياً للشرع ولا يشهد له شيء من قواعده فالفعل المنافي للشرع هو المردود على فاعله كالعبادة مع الإخلال بشرطها أو ركنها كالصلاة بدون وضوء أو ركوع أو سجود وكالعقود الفاسدة كالبيوع المنهية عنها .

قال الإمام ابن حجر : أما ما لا ينافيه فهو غير مردود على فاعله كسائر أنواع البرّ التي لم تُعهد في الصدر الأول ومثّل بما تقدّم من التصنيف في العلوم النافعة . ثم قال : فذلك كله وما شاكله معلوم حسنه ظاهر فائدته مقبول من فاعله مثاب عليه . وقال الإمام أبو شلمة شيخ النووي رحمهما الله : ومن أحسن البدع ما يُفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده ﷺ من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مُشْعِر بمحبته ﷺ وتعظيمه وجلالته في قلب فاعل ذلك وبشكر الله على النعمة المحمدية فتعين أن المذموم من البدع هي المخالفة للشرع كالعبادات الفاسدة كاعتقاد وجوب الإنكار على ما هو سنة كقراءة سورة الكهف في المسجد وكالإنكار الموجب لوقوع التباغض والتحاسد والخصام بين

---

(١) رواه مسلم في كتاب العلم ح٤٨٣٠ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الأقضية ح٣٢٤٢ ، وابن ماجه في سننه ح١٤ ، والامام أحمد في مسنده ح٢٥١٢٤ .

المسلمين التي هي أقبح من الفعل المنهي عنه وكترك الإنكار على حرام إجماعاً وتشديد النكير على ما هو سنة أو مكروه حتى يوقع في الشتم والخصام بين الناس المؤدي إلى إتلاف الأموال والأبدان والأرواح . أ . هـ كلام الشيخ يوسف الشلبي رحمه الله تعالى .

المورد الأول

اعلم نوّر الله قلبي وقلبك وضاعف في النبي ﷺ حبي وحبك ، أن الغرض من التأليف في قصة مولده ﷺ وشمائله ومعجزاته المأخوذة من كتب السيرة إنما هو عين ما قصده مؤلفوا سيرته ﷺ التي هل الأصل في ذلك وما كان قصد مؤلفيها بجمع شمائله ﷺ فيها مجرد معرفة علم تاريخي تميل إليه النفوس وتجنح إليه القلوب ويُتحدث به في المجالس ويستشهد به على المقاصد ونحو ذلك من الفوائد وإنما كان مقصودهم من جمع شمائله ﷺ فوائد أخرى مهمة منها :

التقرب إليه ﷺ واستجلاب محبته ورضاه بذكر أوصافه الكاملة وأخلاقه الفاضلة كما يتقرب الشاعر إلى الكريم بذكر أوصافه الجميلة وخصاله النبيلة ولاشك أن جمْع شمائله ﷺ ونشرها هو أفضل وأكمل من مدحه بالقصائد وقد رضيَ عملَ مَن مدحه بها كحسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير رضي الله عنهم وكافأهم على ذلك فلاشك أنه يرضى عمن يعتني بجمع شمائله ونشرها ﷺ .

ومنها التعرض لمكافأته ﷺ على إحسانه إلينا نحن أمة الإجابة وإنقاذه إيانا من ظلمات الضلال إلى أنوار الهدى ومن الشقاوة الأبدية إلى السعادة السرمدية ولاشك أن هذه نعمة كبرى لا يمكن مقابلتها بشيء ولا يقدر على مكافأته عليها إلا الله فمن ثم قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في رسالته التي رواها عنه صاحبه الإمام الربيع بن سليمان رحمه الله تعالى ما نصه :

فجزاه الله عنا أفضل ما جزى مرسلا عمن أرسل إليهم ، فإنه أنقذنا الله به من الهلكة وجعلنا به من خير أمة أخرجت للناس دائنين بدينه الذي ارتضى واصطفى به ملائكته ومن أنعم عليهم من خلقه فلم تمس بنا نعمة ظهرت ولا بطنت نلنا بها حظا في دين أو دنيا أو رفع بها عنا مكروه فيهما أو في إحداهما إلا ومحمد ﷺ سببها القائد إلى خيرها والهادي إلى رشدها . أ . هـ

ومنها أن معرفة شمائله الشريفة تستدعي محبته ﷺ لأن الإنسان مجبول على حب الصفات الجميلة ومن اتصف بها ولا أجل ولا أكمل من صفاته ﷺ فلاشك أن من يطلع عليها ولم يكن مطبوعا على قلبه بطابع الضلال يحب صاحبها ﷺ بيقين وبمقدار زيادة المحبة له ﷺ ونقصها تكون زيادة الإيمان ونقصه بل رضى الله تعالى والسعادة الأبدية ونعيم أهل الجنة ودرجاتهم فيها لا يكون جميع ذلك إلا بمقدار محبة العبد له ﷺ زيادة ونقصا ، كما أن سخط الله تعالى

والشقاوة الأبدية وعذاب أهل النار ودركاتهم فيها يكون بمقدار بغضه ﷺ زيادة ونقصاً .

ومنها اتباعه والاقتداء به لمن وفقه الله فيما يمكن به الاقتداء كسخائه وحلمه وتواضعه وزهده وعبادته وغيرها من مكارم أخلاقه وشرائف أحواله ﷺ وذلك متوجب لمحبة الله تعالى التي فيها سعادة الدارين قال الله تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾ (١) جعلنا الله من المتبعين له ﷺ في شرعه القويم وصراطه المستقيم وحشرنا تحت لوائه في زمرة أهل محبته ﷺ كما في وسائل الوصول في شمائل الرسول للشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني رحمه الله تعالى .

قلت : ومنها أن يثبت الله بسماعنا شمائله المؤلف فيها المولد والسير قلوبنا على كمال الإيمان الرضى بالمقدور كما ثبت الله قلب رسوله محمد ﷺ بقصه عليه في كتابه العزيز أنباء الرسل كما قال تعالى : ﴿ **وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك** ﴾ (٢) بل نحن أشد احتياجاً إلى تثبيت فؤادنا بسماع أنباء شمائله ﷺ من احتياجه ﷺ إلى تثبيت فؤاده ﷺ بقص أنباء الرسل عليه كما لا يخفى والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) سورة آل عمران : ٣١ .
(٢) سورة هود : ١٢٠ .

المورد الثاني

قد تقدم آخر المقدمة أن الإمام أبا شامة شيخ النووي رحمهما الله تعالى قال : ومن أحسن البدع ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده ﷺ من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مشعر بمحبته ﷺ وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وبشكر الله على النعمة المحمدية أ . هـ

وفي الفتاوى الحديثية لابن حجر المكي الهيثمي رحمه الله تعالى أنه سئل عن حكم المولد والأذكار التي يفعلها كثير من الناس في هذا الزمان هل هي سنة أو فضيلة ، فإن قلتم أنها فضيلة فهل ورد في فضلها أثر عن السلف أو شيء من الأخبار ؟ وهل الاجتماع للبدع المباحة جائز أم لا ؟ .

فأجاب بقوله : المولد والأذكار التي تفعل عندنا أكثرها مشتمل على خير كصدقة وذكر وصلاة وسلام على رسول الله ﷺ ومدحه فهو سنة تشمله الأحاديث الواردة في الأذكار المخصوصة والعامة كقوله ﷺ : ((لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده))(١) ، وروي أيضاً أنه ﷺ قال لقوم جلسوا يذكرون الله تعالى ويحمدونه على أن هداهم للإسلام : ((أتاني جبريل عليه

(١) رواه مسلم بلفظ ((لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليه السكينة وذكرهم الله فيمن عنده)) ، ح٢٧٠٠ .

الصلاة والسلام فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة))[1] وفي الحديثين أوضح دليل على فضل الاجتماع على الخير والجلوس له وأن الجالسين على خير كذلك يباهي الله بهم الملائكة وتتنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله بالثناء عليهم بين الملائكة فأي فضائل أجل من هذه ؟ وقول السائل نفع الله به : وهل الاجتماع للبدع المباحة جائز ؟ جوابه : نعم هو جائز ، قال العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى : البدعة فعل ما لم يعهد في عهد النبي ﷺ وتنقسم إلى خمسة أحكام يعني الوجوب والندب ... إلخ ، وطرق معرفة ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشرع فأي حكم دخلت فيه فهي منه . فمن البدع الواجبة تعليم النحو الذي يفهم به القران والسنة ومن البدع المحرمة مذهب نحو القدرية ومن البدع المندوبة إحداث نحو المدارس والاجتماع لصلاة التراويح ومن البدع المباحة المصافحة بعد الصلاة ومن البدع المكروهة زخرفة المساجد والمصاحف أي بغير الذهب وإلا فهي محرمة ، وفي الحديث : ((كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)) وهو محمول على المحرمة لا غير . أ . هـ ، المراد من السؤال والجواب فتحصل من كلامي أبي شامة شيخ النووي وجواب ابن حجر في فتاويه الحديثية أن ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده ﷺ من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والاجتماع على سماع قصة مولده ﷺ وعلى الأذكار من أحسن البدع .

(١) رواه مسلم والنسائي – واللفظ له – والترمذي .

أما أولاً : فلأنه مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مشعر بمحبته ﷺ وتعظيمه وجلالته في قلب فاعله وبشكر الله على النعمة المحمدية .

أما ثانياً : فلأنه مع ما فيه من الاجتماع على الخير كصدقة وذكر وصلاة وسلام على رسول الله ﷺ ومدحه فهو سنة تشمله الأحاديث الواردة في الاجتماع على الأذكار المخصوصة والعامة كقوله ﷺ : ((لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده))[1] ، ويروى أيضاً أنه ﷺ قال لقوم جلسوا يذكرون الله تعالى ويحمدونه على أن هداهم للإسلام : ((أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة))[2] فلا يشك ذو لبّ أنه في الحديثين أوضح دليل على فضل الاجتماع على الخير والجلوس له وأن الجالسين على خير كذلك يباهي الله بهم الملائكة وتتنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله بالثناء عليهم بين الملائكة فأي فضائل أجلّ من هذه ؟ .

قلت : على أن كون ذلك بدعة من حيث أنه لم يعهد نحوه في عهد رسول الله ﷺ إلا أنه عهد تعظيمه ﷺ بنظيره كما وقع من

(١) تقدم تخريجه .

(٢) تقدم تخريجه .

السيدة خديجة رضي الله عنها من الشفقة عليه وإنفاق مالها عليه حتى شكر الله لها ذلك وما تشعر به آية ﴿ **إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم** ﴾[1] وما يشعر به قوله تعالى ﴿ **وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك** ﴾[2] من أن الحكمة في قص الله تعالى على نبيه محمد ﷺ من أنباء الرسل في كتابه العزيز هي تثبيت فؤاده ﷺ ولا شك أننا اليوم محتاجون إلى تثبيت فؤادنا بأن يقص علينا نبأ نبينا محمد ﷺ كما لا يخفى فمن ثم استنبط الإمام اليافعي من الآية المذكورة في كتابه (روض الرياحين) استحباب قراءة مناقب العلماء والأولياء فظهر لك من هذا أن إطلاق البدعة على فعل ما ذكر إنما هو باعتبار الهيئة الاجتماعية لا باعتبار أفرادها لوجودها في عهد رسول الله ﷺ بل ربما أخذ من قوله تعالى في كتابه العزيز ﴿ **يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[3] وجوب كل ما يشعر بتعظيمه ﷺ حاضرا كان أو غائبا استنباطا من الأمر بخصوص الصلاة والسلام عليه عند مجرد ذكر اسمه ﷺ بطريق تنقيح المناط وإلغاء خصوص طلبها في تعظيمه عند ذلك واعتبار طلب عموم كل ما يشعر بتعظيمه كما يشهد لذلك ما وقع من أصحابه ﷺ في تعظيمه من نحو : شرب بوله ، ودمه ، ووضع شعرات من شعره ﷺ في قلنسوة

---

(١) سورة الحجرات : ٢ .

(٢) سورة هود : ١٢٠ .

(٣) سورة الأحزاب : ٥٦ .

بعضهم وحرصه عليها (١) فافهم واغنم ولا تلتفت لمن لا يعلم واستحكم في فؤاده بغض النبي ﷺ وخيم والله سبحانه وتعالى أعلم .

المورد الثالث

بلغني أن بعض من في قلبه بغض لما يشعر بتعظيم نبينا محمد ﷺ من البدع الحسنة التي اعتيدت في تعظيمه ﷺ من القيام عند ذكر مولده ﷺ ووضع أمه له كان في مجلس يقرأ فيه المولد فلما قام من في ذلك المجلس على معتادهم عند ذكر مولده ﷺ ووضع أمه له

---

(١) قال القاضي عياض في الشفا (ص٥٨) : ومثل من شرب دمه مالك بن سنان يوم أحد ، ومصه إياه ، وتسويغه ذلك له ، وقوله : ((لن تصيبه النار)) [قال في مناهل الصفا ص٤٣ : الطبراني في الأوسط ، عن أبي سعيد الخدري : أن أباه ... الحديث ، وليس في سنده من أجمع على ضعفه ، وأخرجه البيهقي من وجه آخر ، عم بن السائب أنه بلغه فذكره] ، ومثله أيضا عبد الله بن الزبير حين شرب دم حجامته ، فقال له عليه الصلاة والسلام ((ويل لك من الناس ، وويل لهم منك)) ولم ينكره عليه ، [قال في مناهل الصفا ص٤٣ : البزار والحاكم والبيهقي والطبراني وسنده جيد ، قلت : أخرجه البزار (٢٤٣٦- كشف) وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/٣٣٠) وعزاه محقق المناهل للحاكم (٣/٥٥٤) ومجمع الزوائد (٨/٢٧٠)] ، وقد روي نحو من هذا عنه في امرأة شربت بوله فقال لها : ((لن تشتكي وجع بطنك أبدا)) ولم يأمر أحد منهم بغسل فم ، ولا نهاه عن عودة ، وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح ألزم الدارقطني مسلما والبخاري إخراجه في الصحيح ، واسم هذه المرأة بركة ، [وقال الشمني : هذه المرأة بركة حاضنته وهي حبشية ، أعتقها عليه السلام حين تزوج خديجة ، وزوجها عبيد الحبشي ، فولدت له أيمن وكنيت به ، ثم بعد النبوة تزوجها زيد بن حارثة فأولدها أسامة] ، قوله قلنسوة بعضهم هو خالد بن الوليد وقوله : وحرصه عليها حتى أنه لما سقطت من رأسه بين يدي أعداء الله وأعدائه خاطر بنفسه ولم يبال بهم حتى أخذها ووضعها على رأسه وما ذلك إلا لأنه لم يشهد بها قتالا إلا رزق النصر كما في كتب السيرة.

بقي ذلك البعض جالسا ولم يقم بقيام الناس ولما عوتب على ذلك أفاد أنه متمسك بقول ابن حجر في فتاويه الحديثية وهو ما نصه : ونظير ذلك أي القيام عند قراءة قوله تعالى ﴿ **أتى أمر الله** ﴾[1] في كونه بدعة لا ينبغي ارتكابها لإيهام العامة ندبها فعل كثير عند ذكر مولده ﷺ ووضع أمه له من القيام وهو أيضا بدعة لم يرد في شيء على أن الناس إنما يفعلون ذلك تعظيما له ﷺ فالعوام معذورون لذلك أي لقصدهم التعظيم به مع كراهته لعدم الاقتداء بهم بخلاف الخواص أي المقتدى بهم فإنهم غير معذورين بل ملومون لأنه يتوهم من فعلهم له أنه سنة يثاب عليها فيقتدي بهم العوام في فعله بل ربما اعتقدوا وجوبه وهو بدعة مكروهة الفعل فرأيت كما لا يخفى على ذي لب عند أدنى مسكة من العلم أن صنيعه هذا وتمسكه بما ذكر مشعر بأمرين :

الأول : أنه مع تمسكه بظاهر ما ذكر وزعمه تسليمه وأنه لايرد عليه شيء أصلا قد عد نفسه من الخواص المقتدى بهم مخالفا لقول الله تعالى : ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى** ﴾[1] ولما عليه السلف مع زعمه أنه سلفي وقد قال عقبة بن صهبان سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله عز وجل ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير * جنات عدن يدخلونها**

(١) سورة النحل : ١ .

(١) سورة النجم : ٣٢ .

يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ﴾[٢] فقالت : يا بني كلهم في الجنة أما السابق فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة وأما المقتصد فمن تبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها كما في تفسير الخازن مع ما هي عليه من الفضل والعلم والمكانة عند الله وعند رسوله ﷺ امتثالا لقوله تعالى ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم** ﴾ .

الأمر الثاني : أنه مع تزكيته نفسه وزعم أنه من الخواص المقتدى بهم جهل أن ما تمسك به من قول ابن حجر المذكور فيه نظر من ثلاثة وجوه :

الوجه الأول : أنه مجرد كونه بدعة لا يقتضي كونه نظير ذلك في كونه لا ينبغي فعله لأن دخوله تحت قاعدة ما يكره من البدع إنما يظهر بقياسه على القيام عند قراءة قوله تعالى ﴿ **أتى أمر الله** ﴾ وهو قياس مع الفارق فلا يتجه ، وذلك أن رسول الله ﷺ لم يثبت عند نزول قوله تعالى ﴿ **أتى أمر الله** ﴾ تشريعا لأمته ليفعلوا مثله وإنما وثب فزعا من سماع الآية فمن ثم صار القيام عند سماعها بدعة لا ينبغي فعلها . وأما قيام الناس عند ذكر مولده ﷺ ووضع أمه له فإنما

(٢) سورة فاطر : ٣٢ .

فعلوه تعظيما له ﷺ كما صرح ابن حجر نفسه بذلك فكيف يتجه قياسا مع هذا الفارق .

الوجه الثاني : إن قول ابن حجر نفسه على أن الناس إنما يفعلون ذلك القيام عند ذكر مولده ... إلخ . تعظيما له ﷺ ظاهر في أنه من البدع الداخلة أولا تحت قاعدة أن كل ما أقر النبي ﷺ التعظيم بمثله أو بما في معناه ولم يعهد فعله بعينه في زمنه ﷺ يكون مندوبا ، وقد جعل النووي القيام لأهل الفضل من قبيل المستحبات إن كان للاحترام لا للرياء ، وألف فيه جزءا مستقلا وأقوى ما استدل له حديث البيهقي في سننه أن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : مارأيت أحدا كان أشبه كلاما وحديثا من فاطمة برسول الله ﷺ وكانت إذا دخلت عليه رحب بها وقام إليها فأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في مجلسه وكان إذا دخل عليها رحبت به وقامت وأخذت بيده وقبلتها ، وتعقبه ابن الحاج في المدخل وتعقب تعقيبه ابن حجر وألف في ذلك جزءا سماه : رفع الملام عن القائل باستحباب القيام للداخل من أهل الفضل والاحتشام ، وما ألطف قول القائل :

فلما بصرنا به مقبلا ... حللنا الحبى وابتدرنا القيام
فلا تنكرن قيامي له ... فإن الكريم يجل الكرام

كما في حاشية ابن حمدون على مختصر الشيخ ميارة على نظم ابن عاشر في فقه مالك رضي الله عنه وقد روي في القيام من

المشكاة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد بعث رسول الله ﷺ إليه وكان قريبا فجاء على حمار فلما دنى من المسجد قال رسول الله ﷺ للأنصار : ((قوموا إلى سيدكم)) متفق عليه ، فأنت ترى أن النبي ﷺ قد فعل القيام تعظيما لبنته فاطمة رضي الله عنها وأقر بنته فاطمة في تعظيمها له ﷺ وأمر الأنصار في تعظيمه لسعد به .

وقد أقر النبي ﷺ تعظيم اسمه في الأذان بتقبيل ظفري إبهامي اليدين ومسح العينين بهما عند سماع الشهادة بإرساله ﷺ في الأذان . ففي فتاوى الشيخ إلياس المدني عن مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه استمع الأذان فلما بلغ المؤذن كلمة الشهادة بإرسال رسول الله ﷺ قال : لأي شيء صنعت هذا ؟ قال : شرفا لاسمك وتيمنا به يا رسول الله فقال ﷺ ما أحسن هذا فمن عمل به فقد أمن الرمد أ . هـ [1] ، وأقر أيضا الجارية السوداء على

(١) قال الشيخ إسماعيل العجلوني في كشف الخفاء : مسح العينين بباطن أنملتي السبابتين بعد تقبيلهما عند سماع قول المؤذن : أشهد أن محمدا رسول الله ، مع أشهد أن محمدا عبده ورسوله ، رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا . رواه الديلمي عن أبي بكر أنه لما سمع قول المؤذن أشهد أن محمدا رسول الله قاله وقبل باطن أنملتي السبابتين ومسح عينيه . فقال ﷺ من فعل فعل خليلي فقد حلت له شفاعتي .

قال في المقاصد : لا يصح وكذا لا يصح ما رواه أبو العباس ابن أبي بكر الرواد اليماني المتصوف في كتابه موجبات الرحمة وعزائم المغفرة بسند فيه مجاهيل مع انقطاعه عن الخضر

ضرب الدف بين حين قدم إلى المدينة سالما من بعض مغازيه ففي تحفة ابن حجر أن خبر الترمذي وابن حبان أنه ﷺ لما رجع إلى المدينة من بعض مغازيه قالت له جارية سوداء : إني نذرت إن ردك الله سالما أن أضرب بين يديك بالدف فقال لها : إن كنت نذرت أوف بنذرك ، يشهد بندب ضرب الدف بقصد السرور وبقدوم نحو عالم لنفع المسلمين إذ المباح لا ينعقد نذره ولا يؤمر بوفائه . أ . هـ

فمن ثم سئل الشيخ محمد صالح الزمزمي مفتي الشافعية بمكة سابقا عن ضرب الدف حال قراءة مولد النبي ﷺ لمجرد تشريف ذكره ﷺ وتزيينه خاليا عن الخبائث أجاب بقوله : حيث خلا عن الخبائث فهو حلال لا حرمة فيه ولا كراهة أ . هـ قلت : بل ضربه بقصد الأمة السرور بولادة مشرفها عند ملاحظة خطابه تعالى لهم بقوله ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ... الآية ﴾[1] مندوب ، إذ لاشك أنه ﷺ أصل السرور بقدوم عالم أ . هـ فافهم .

ولا يقال إن أمره ﷺ الأنصار بقيامهم لسعد وتعظيمهم له وإقراره فاطمة بتعظيمها له به وإقراره أبا بكر بتعظيم اسمه ﷺ عند سماعه شهادة المؤذن بإرساله ﷺ بتقبيل ظفري إبهاميه ومسح عينيه

عليه السلام أنه قال : من قال حين يسمع المؤذن يقول : أشهد أن محمدا رسول الله مرحبا بحبيبي وقرة عيني محمدﷺ أ . هـ .

(١) سورة آل عمران : ١١٠ .

بهما والجارية السوداء بضرب الدف بين يديه لما نذرت ضربه بين يديه ﷺ إنما كان حال حياته وحضوره لدى المعظم له بما ذكرنا لأنا نقول أن ما تقدم لك سابقا في آخر المورد الثاني من أخذ وجوب كل ما يشعر بتعظيمه ﷺ حاضرا كان أو غائبا من آية ﴿ **يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾ بطريق الاستنباط بتنقيح المناط بحذف الخصوص وإناطة الحكم بالعموم كاف في الرد على صاحب هذا المنع ومغن عن عن تكلفات الحيدر أبادي في قوله أن القدوم النبوي الصوري لما كان الإنسان يتصور نفسه عند سماعه حاضرة في ذلك الزمن الماضي ويستحضر فيه ذات النبي ﷺ وما حصل بظهوره ﷺ من الرحمة للعالمين كافة وما وقع عنده من المعجزات والآيات الباهرة كما كان العارفون يتصورون النبي ﷺ على هيئات عظيمة وحالات جسيمة فتارة يستحضرون دخوله ﷺ المدينة من هجرته وقد خرجت ذوات الخدور والولائد والصبيان يقلن :

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا   ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا   جئت بالأمر المطاع

ويجعلون أنفسهم كأنهم يقولون ذلك ويفرحون ، وتارة يتصورونه ﷺ أمام المؤمنين ببدر وهم يلوذون به في جهاد أعدائه ويستحضرون أن ملائكة الله تتبعه وتقاتل معه وتارة يستحضرونه

تحت شجرة الرضوان والصحابة يبايعونه على أن يموتوا دونه ويستحضرون قوله تعالى في ذلك ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم** ﴾ (١) وتارة يتصورون دخوله مكة يوم الفتح ومعه جنود الله وقد أحدقت به الأنصار ولا يُرى منهم إلا الحدق من الحديد وهو على ناقته القصواء بين سيدنا أبي بكر الصديق وسيدنا أسيد بن حضير يتحدث معهما ، وتارة يستحضرونه ساجداً عند عرش الله وهو يقال له ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع وتارة يستحضرون قرعه لباب الجنة وأمته وجميع الأمم تتبعه إليها وهكذا كما في شرح جسوس على شمائل الترمذي .

كأن هذا القدوم بلا شك أكمل ذاتاً وأعلى درجة من القدوم الصوري الفرعي المضاف الاختياري الذي القدوم السعدي فرد من أفراده لاسيما وقد ورد طلب الصلاة والسلام عليه عند مجرد ذكر اسمه ﷺ في الآية والأحاديث الكثيرة الصحيحة وليس المقصود بهما إلا مجرد تعظيمه ﷺ كما نص على ذلك الآبي في شرحه على مسلم وغير واحد بل قوله ﷺ لأبي بكر حين قبل إبهامي يديه ومسح بهما عينيه عند سماعه شهادة المؤذن بإرساله ﷺ تعظيماً وتشريفاً لاسمه ﷺ وتيمناً به : ما أحسن هذا ؟ فمن عمل به فقد أمن الرمد ، صريح في استحسانه عند مجرد ذكر اسمه ﷺ كما لا يخفى وقد قال بنيس

(١) سورة الفتح : ١٠ .

في شرحه على همزية البوصيري : والمحب يسلم على المحبوب في حالتي غيبته وحضوره أي في حالة الشهود وعدمه أما سلامه في الغيبة فقلق وتعلق وإجلال وإعظام ورجاء لأن يكون ذلك ذريعة إلى الصفاء ووسيلة إلى الوصول وتفاؤلا بالظفر بالإقبال فيأتي بما في طوقه عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيما ليس في طوقه لكن سر الله في صدق القلب ، ومن كثر لهجه بالأحباب فلا بد أن يذكروه ومن دام تسليمه عليهم فلابد أن يزوروه ، وأما سلامه في وقت الشهود والحضور فشكر على الإنعام وحمد في مقابلة الكلام وزيادة خضوع عند شهود الجلال وتضاعف شغف عند شهود الجمال فعند ذلك يسلم بعوالمه الظاهرة من رأس وعين وجبين ووجه ولسان وشعر وبشر وكل ذرة من ذراته وجوهرة من جواهره وبعوالمه الباطنة من روح وعقل وقلب وحياة وسائر القوى الباطنة . أ . هـ بلفظه .

قال الحيدر أبادي في رسالته نهاية الإرشاد إلى احتفال الميلاد : وخلاصة هذا الدفع قياس اقتراني من الشكل الأول استنبط المحققون صغراه من الحديث المذكور يعني قوله ﷺ للأنصار لما جاء سعد على الحمار : ((قوموا إلى سيدكم)) وهي القيام الميلادي تعظيم نبوي شرعي وأثبتوا كبراه وهي كل تعظيم نبوي شرعي مستحسن شرعي بآيتين إحداهما قوله تعالى : ﴿ **وأما بنعمة ربك**

فحدث ﴾[1] وثانيتهما قوله تعالى : ﴿ وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[2] .

فمفاد الأولى : أن علة وجوب التحدث إنما هو وصف النعمة الواصلة إلينا ولو بواسطة ، ومفاد الثانية : أن النبي ﷺ رحمة للعالمين وأنه نعمة عظمى فائقة على نعم العالمين كلها وإن النعم الواصلة إليه ﷺ لما كانت هي السبب في النعم الواصلة إلينا كان جميع ما وصل إليه ﷺ نعما واصلة إلينا إما من حيث ذواتها وإما من حيث أثارها وحينئذ فالواجب علينا أولا : التحدث بنعمه الفائضة عليه ﷺ بالبينات التفصيلية ؛ وثانيها : التحدث به ﷺ بالبيان التفصيلي بحيث يظهر أنه نعمة عظمى فائقة على نعم العالمين كما يجب علينا التحدث بالنعم الفائضة علينا بواسطته ﷺ وإن كانت التحدث بالنظر إلى وصف نعمة ربنا الواصلة إلينا وحده واجبا وجوبا عينيا محضا وبالنظر للواسطة ونعم ربنا الواصلة إليه ﷺ واجبا جوبا استحسانيا لا عينيا وحيث علم ذلك كان الواجب على الواعظ التالي لقصة مولده ﷺ الذي هو سبب وصول النعمة العظمى الفائقة إلينا أن يبين أولا الفضائل المذكورة تفصيلا بحيث يجعلها توطئة لولادة النبي ﷺ ووصوله إلينا ثم يبين تفصيلا فضائل الولادة والوصول إلينا حتى إذا

---

(١) سورة الضحى : ١١.

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

قال : فولد ﷺ ..... إلخ ، استحسن القيام تعظيما له ﷺ لا لأنه قادم في المحفل وحاضر فيه بحضور أصلي عند قوله هذا بل لأنه قادم في العالم الجسماني من العالم النوراني من قبل هذا الوقت في زمن الولادة الشريفة وحاضر عند قول التالي : فولد ﷺ ..... إلخ ، بحضور ظلي هو أقرب من حضوره الأصلي .

قلت : على أنه بلا شك يحضر بروحه في كل مقام يذكر فيه فمن ثم قال البرزنجي في مولده :

بتشخيص ذات المصطفى فهو حاضر
بكل مقام يذكر فيه بل داني

واستدل عليه فضيلة المرحوم السيد محمد بن جعفر الكتاني لما سئل عنه بأن الرسول لما كان يتخلق بأخلاق ربه وقد قال ﷺ حاكيا عنه عز وجل أنه قال : أنا جليس من ذكرني ، وفي رواية : أنا مع من ذكرني . فكان مقتضى تأسيه بربه تعالى وتخلقه بأخلاقه أن يكون ﷺ حاضرا مع ذاكره في كل مقام يذكر فيه بروحه الشريفة ويكون استحضار الذاكر ذلك موجبا لزيادة تعظيمه ﷺ ومما يؤيد هذا الذي فتح به على السيد الكتاني ما حكى أن ابن علان المكي لما قرأ البخاري في حجر الكعبة المشرقة لجماعة من تلاميذه وبقي على ختمه نحو ثلاثة مجالس استأذن أحد تلاميذه في سفره لزيارة الرسول ﷺ فطلب تأخره إلى أن يتم سماعه ختم البخاري فأبى إلا أن يسافر غدا

فلما نام ليلة اليوم الذي عزم على السفر فيه رأي النبي ﷺ قادما من المدينة على ناقة له وأفاده لما سأله أن قدومه ﷺ ليحضر درس شيخه ابن علان لختم صحيح البخاري فقام من النوم عازما على تأخره عن سفر إلى المدينة ليحضر مع رسول الله ﷺ ختم البخاري وأخبر شيخه بمنامه ففرح واستبشر بذلك ، قال الحيدر أبادي : وإنما يختار هذا القيام التعظيمي ليكتمل نظام التعظيم النبوي فيكون من حيث تكميل نظامه واجبا بالوجوب الانتظامي لا واجبا بأحد الوجوبين الشرعيين العيني والاستحساني وإنما هو بالنظر إلى شرعيته مستحسن جدا فيكون مستحسنا بالاستحسان الشرعي قطعا ونظم القياس الاقتراني من الشكل الأول هكذا : القيام الميلادي تعظيم نبوي شرعي وكل تعظيم نبوي شرعي مستحسن شرعي ينتج القيام الميلادي مستحسن شرعي وهو المطلوب ولو كان القيام للقدوم السعدي إمداديا لإعانته في النزول عن الحمار إذ كان به مرض وأثر جرح أكحله يوم الأحزاب كما قيل لما قال ﷺ : ((قوموا إلى سيدكم)) بل قال ﷺ : ((قوموا لمريضكم أو مجروحكم)) فحيث قال ﷺ ذلك علم أن طلبه ﷺ للقيام التنظيمي إنما هو لسيادة الصحابي الجليل القدر فإنها عظيمة من عظيمات الله تعالى وحرمة من حرمات الله تعالى فلا تستدعي إلا التعظيم والاحترام إما وحده أو مع الإمداد ، فإن الذي تقتضيه القواعد المبنية في العلوم العربية والأصول الفقهية أن النظر حين الاستدلال بالآيات والأحاديث بل وبكل كلام بليغ إنما يكون إلى الألفاظ ومعانيها وما يستفاد منها من العموم لا لخصوص أسباب وقوعها فافهم ... أ . هـ ملخصا .

قلت : فمن ثم تقرر في كلام المحققين من الأصوليين والمفسرين العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب على أن الاستدلال على استحسان القيام الميلادي شرعا ليس قاصرا على أمره ﷺ الأنصار عند مجيء سعد على الحمار بقوله : ((قوموا إلى سيدكم)) كما علمت حتى يتوقف على تمام هذا الدفع على ما فيه بل استحسان القيام الميلادي شرعا لدخوله ثانيا تحت قاعدة العادة محكمة التي أصلها حديث ابن مسعود الموقوف ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن .

قال السخاوي في المقاصد الحسنة رواه أحمد في كتاب السنة من حديث أبي وائل عن ابن مسعود قال : ((إن الله نظر في قلوب العباد فاختار له أصحابه فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح)) وهو موقوف حسن أفاده الحموي على أشباه ابن نجيم .

لاسيما وقد أخرج الحكيم الترمذي عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ : قال : ((خير أمتي أولها وآخرها وفي وسطها الكدر ولن يخزي الله آمة أنا أولها والمسيح آخرها)) . قال الحكيم : فالميزان لسانه في وسطه وباستواء الطرفين والكفتين يستوي اللسان ويقوم الوزن فجعلت أوائل هذه الأمة وأواخرها يهدون بالحق وبه يعدلون

فهذا الوسط الأعوج ينجو بهاتين الكفتين المستقيمتين كما في الجامع الصغير وكبير المناوي إذ لاشك أنه قد جرى على استحسان القيام الميلادي تعظيما له ﷺ عمل من يعتد بعمله في أغلب البلاد الإسلامية بلا نكير فلا ينبغي لأحد من الخواص والعوام تركه ولا المنع عنه بل ربما استلزم تركه والمنع عنه اليوم الاستخفاف بالنبي ﷺ وقد نعى العلامة المالكي في مختصره وشراحه على أن المستخفين بنبي أو ملك يقتل كفرا إن لم يتب وإلا قتل حدا فمن ثم أفتى المولى أبو السعود العماري الحنفي بكفر من يتركه حين يقوم الناس لإشعاره بضد ذلك كما نقله الشيخ عبد الرحيم السيوطي الجرجاوي المالكي في شرحه على مولد البرزنجي عن مولد الإمام الحلواني والطنطاوي . قلت : ومن أعجب العجب أن المنكرين على أهل السنة إجماعهم على استحسان مثل هذا القيام تجدهم في اجتماعهم في النوادي لقراءة نحو مناشير ملك من ملوكهم إذا صرح فيه باسم ذلك الملك يحسنون القيام لمجرد ذكر اسمه تعظيما له ولو كافرا وينكرون أشد الإنكار على من لم يقم منهم حينئذ كأنه ارتكب أعظم كبيرة نعوذ بالله من طمس البصائر وخبث الإعتقاد وفساد الضمائر .

تنبيه :

حكى السيد علوي المالكي أن والده المرحوم السيد عباس المالكي رحمه الله أخبره أنه حضر في بيت المقدس احتفالا نبويا ليلة عيد الميلاد النبوي تلي فيه مولد البرزنجي فإذا رجل أشيب قام بغاية

الأدب من أول المولد إلى نهايته وافاده لما سأله عن سبب وقوفه مع كبر سنه بأنه كان لا يقوم عند ذكر الميلاد النبوي ويعتقد أنه بدعة سيئة فرأى في نومه أنه مع جماعة متهيئين لاستقباله ﷺ فلما طلع لهم بدر محياه ونهض الجميع لاستقباله لم يستطع هو القيام لذلك وقال له الرسول ﷺ أنت لا تستطيع القيام فما استيقظ إلا وهو مقعد وبقي على هذا الحال عاما فنذر إن شفاه الله من مرضه هذا يقوم من أول قراءة المولد إلى غايته [نهايته] فعافاه الله من ذلك ولم يزل قائما بوفاء نذره تعظيما له ﷺ .

الوجه الثالث : أن قوله – أي ابن حجر – فالعوام معذورون لذلك أي لقصدهم التعظيم به مع كراهته لعدم الاقتداء بهم بخلاف الخواص أي المقتدى بهم لأنه يتوهم في فعلهم له أنه سنة يثاب عليه فيقتدي بهم العوام في فعله بل ربما اعتقدوا وجوبه هو بدعة مكروهة لا ينبغي فعلها وقد علمت أنه قياس مع الفارق فلا يتجه الاستدلال به ، كما علمت والله سبحانه وتعالى أعلم .

الخاتمة

أسأله الله حسنها في ثلاث فرائد مهمة :

الفريدة الأولى :

قال الشيخ يوسف الشلبي في الرسالة التامة : جواز الانكار على فعل يتوقف على علم المنكر أو كراهته بالاجماع أو عند فاعله ، فيحرم الإنكار على الجاهل به إذ جهله قد يؤدي إلى إنكاره على ما هو شرع بالضرورة فيكفر كما قال صاحب الجوهرة :

ومن لمعلوم ضرورة جحد   من ديننا يقتل كفرا ليس حد

ويتوقف أيضا على عدم اقتضائه مفسدة أشد وأقبح من الذي ينكر عليه وإلا كان إنكاره محرما تحريما أكبر من حرمة المنهي عنه وبالجملة فوجوب الإنكار يتوقف على الإجماع على تحريم البدعة أو الاختلاف فيها مع اعتقاد فاعلها التحريم ومع علم المنكر باعتقاده ويتوقف أيضا على عدم اقتضائه المفسدة ويتوقف أيضا على عدم جزم المنكر بعدم الفائدة فإن جزم فلا وجوب لأنه عبث وقد قال ﷺ : ((من رأي منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وهو أضعف الإيمان))[1] أي دليل على ضعف الإيمان في ذلك الزمن فافهم ... إلخ ، أما إذا كان اعتقاد الفاعل إباحة الفعل بمقتضى مذهب بعيد المأخذ بحيث ينقض قضاء القاضي به ولا على فاعله المعتقد حله تقليدا لمذهب القائل به كما ينكر الزوج على زوجته

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان ح٧ ، والامام أحمد في مسنده ح١١٠٣٤ .

شرب النبيذ وإن اعتقدت حله في دينها على الصحيح كما في أشباه الجلال السيوطي رحمه الله .

الفريدة الثانية :

قال الجلال الدواني في حاشيته على رسالته الزوراء ما خلاصته أن الوجود منبع كل خير وكمال سائر الكمالات متفرعة عليه وغاية الكمال هو التحلي بأثار التجلي بصفات الله تعالى وأسمائه والقابل للفيض الوجودي وما يتفرع عليه من الكمالات أولاً من حيث حقيقته النورانية .

وآخرا من حيث نشأته الصورية الظهورية : هو الحقيقة المحمدية الجامعة لجميع آثار التجلي بالصفات الإلهية بشهادة ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[1] فكل رحمة فهي له بالذات ولغيره بالتطفل والعرض ، فالصلاة من الله تعالى بذاته التي هي الرحمة عن إفاضة الخير والكمالات له سواء استنزلها له أحد أو لم يستنزلها أحد له ... أ . هـ

فمن ثم قال القسطلاني في المواهب اللدنية : سماه الله بمحمد قبل الخلق بألفي عام كما ورد من حديث أنس وروي ابن عساكر عن كعب الأحبار أن ادم أوصى ابنه شيث عليه السلام فقال : أي بنيّ أنت خليفتي من بعدي فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى وكل ما ذكرت الله فاذكر إلى جنبه اسم محمد فإني رأيت اسمه مكتوباً على ساق

(١) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

العرش ثم طفت السموات فلم أر موضعا إلا ورأيت اسم محمد مكتوبا عليه وإن ربي اسكنني الجنة ولم أر فيها قصرا ولا غرفة إلى واسم محمد مكتوب عليه ولقد رأيت اسم محمد مكتوب على نحور الحور العين وعلى ورق قصب أجام الجنة وعلى ورق شجرة طوبى وعلى ورق شجرة المنتهى وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة فأكثر ذكره فإن الملائكة تذكره في كل ساعاتها كما في وسائل الوصول إلى شمائل الرسول للشيخ يوسف النبهاني ، قال : فأفضل أسمائه ﷺ وأما اسم احمد فقد قال الباجوري في حاشيته : هو في الأصل افعل تفضيل سمي بذلك لأنه أحمد الحامدين وفي الصحيح أنه يفتح عليه يوم القيامة بمحامد وبالجملة فهو أكثر الناس حامدية ومحمودية فلذلك سمي احمدا ومحمدا ولهذين الاسمين مزية على سائر الأسماء فينبغي تحري التسمية بهما وقد ورد في الحديث القدسي : ((إني آليت على نفسي لا أدخل النار من اسمه احمد ولا محمد))[1] وروى الديلمي عن علي : ((ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو احمد إلا قدس الله ذلك المنزل كل يوم مرتين)) ... أ . هـ كلام الباجوري ... أ . هـ كلام النبهاني .

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز مخاطبا له ﷺ ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ وقال له أيضا ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم** ﴾[2] وقال ﷺ : ((أدبني ربي أدبا حسنا إذا قال خذ العفو

(١) قال أبو المحاسن القاوقجي في اللؤلؤ المرصوع لا أصل له .

(٢) سورة الأنفال : ٣٣ .

وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما قبلت منه قال : وإنك لعلى خلق عظيم))[1] . قال المناوي في كبيره على الجامع الصغير خرجه الامام أبو السعد ابن السمعاني في كتاب أدب إملاء الحديث من جهة صفوان بن مفلس الحنطي عن محمد بن عبد الله عن سفيان الثوري عن الأعمش قال : قال رسول الله ﷺ : ((إن الله أدبني فأحسن أدبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين . قال الزركشي : حديث أدبني ربي فأحسن تأديبي معناه صحيح لكنه لم يأت من طريق صحيح وذكره ابن الجوزي في الواهيات عن علي في ذيل حديث وضعفه وأسنده سبطه في مرآة الزمان وأخرجه بطرق كلها تدور على السدى عن ابن عمارة الجواني عن علي وفيه فقال يارسول الله إنك تكلم الوفود بكلام أو لسان لا نفهم أكثره . فقال : ((إن الله أدبني فأحسن تأديبي ونشأت في بني سعد)) فقال عمر : يا رسول الله كلنا من العرب فما بالك أفصحنا فقال: أتاني جبريل بلغة إسماعيل وغيرها من اللغات فعلمني إياها. وصححه أبو الفضل بن ناصر، قال الجلال السيو طي: وأخرج العسكري عن على قال : قدم بنو فهد بن زيد على المصطفى ﷺ فقالوا: أتيناك من غور تهامة وذكر خطيبهم وما أجابهم المصطفى ﷺ فقال: قلت يا نبي الله نحن بنو أب واحد ونشأنا في بلد واحد وأنك تكلم العرب بلسان لا نفهم أكثره فقال : أدبني ربي إلى آخره . وأخرج إبن عساكر أن أبا بكر

(١) رواه ابن السمعاني في أدب الإملاء بلفظ ((أدبني ربي فأحسن تاديبي)) ، قال الزرقاني في مختصر المقاصد ضعيف وقيل صحيح .

قال : يا رسول الله ؟ في العرب وسمعت كلام فصحائهم فما سمعت أفصح منك فمن أدبك قال :أدبني ربي ونشأت في بني سعد)) قال : واسناده ضعيف وقال السخاوى : ضعيف وإن إقتصر شيخنا يعني إبن حجر على الحكم عليه بالغرابة في بعض فتاويه.

وقال إبن تيمية: لايعرف له سند ثابت... أ.هـ كلام المناوى في كبيره فمن ثم خص الله حقيقته النورية أولا ونشأته الصورية آخراً ﷺ بالتحلي بآثار التجلي بصفاته وأسمائه وجعله القابل للفيض الوجودي وما يتفرع عليه من الكمالات حتى خاطبه بقوله تعالى ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ وأما غيره ﷺ من نوع الإنسان فإنما كرمه الله تعالى بتكريمه ﷺ .

قال ابن عربي : فما سمى نفسه باسم من الأسماء إلا وجعل للإنسان من التخلق به حظاً منه يظهر به في العالم على قدر ما يليق به ولذلك تأول بعضهم قوله في الخبر خلق الله آدم على صورته – على هذا المعنى يعنى أن الضمير للإنسان لالآدم ولالله والحديث خرج مخرج الزجر والتهديد لوروده عقب قوله : لاتقولوا قبح الله وجهك فإن الله خلق آدم على صورته أي على صورة هذا الوجه المقبح ذكره القاضي كما أفاده المناوي في كبيره على الجامع الصغير .

وفي تحفة ابن حجر ما خلاصته أن ما قاله جماعة من المتأخرين من أن ما أعتيد في الدعاء بعد قراءة القرآن من قول الداعي اللهم اجعل ثواب ذلك أو مثله إلى حضرته ﷺ أو زيادة في شرفه

جائز صحيح بل هو حسن لأنه ﷺ أذن لنا في الدعاء بكل ما فيه زيادة تعظيم له ﷺ حيث أمرنا بسؤال الوسيلة له ونحوها وحديث أبي المشهور وهو قوله رضي الله عنه كم أجعل لك من صلاتي – أي دعائي – أصل عظيم في مشروعية الدعاء له ﷺ عقب القراءة وغيرها وليس في الدعاء له بزيادة الشرف ما يوهم النقص خلافاً لمن وهم فيه كما بينته في الفتاوى ومن الزيادة في شرفه ﷺ أن يتقبل الله تعالى عمل الداعي بذلك ويثيبه عليه وكل من أثيب من الأمة على عمل كان له ﷺ مثل ثوابه مضاعفاً بعدد الوسائط التي بينه وبين ذلك العامل مع اعتبار زيادة مضاعفة كل مرتبة عما بعدها ففي الأولى ثواب إبلاغ المصطفى وعمله وفي الثانية هذا وإبلاغ التابعي وعمله وفي الثالثة ذلك وإبلاغ تابع التابعي وعمله وهكذا وذلك شرف لا غاية له نقله الشيخ عبد الحفيظ العجيمي في فتاويه منها بالمعنى وببعض التصرف .

وما أحسن قول ابن عباد في هذا المعنى :

والمرء في ميزانه حسناته   فاقدر إذن قدر النبي محمد

الفريدة الثالثة

قال صاحب الجوهرة :

وأفضل الخلق على الإطلاق   نبينا فمل عن الشقاق
والأنبيا يلونه في الفضل   وبعدهم ملائكة ذي الفضل

قال شارحه الشيخ عبد السلام اللقاني ومحشيه الشيخ محمد الأمير : ما خلاصته أن أفضل جميع المخلوقات على العموم الشامل للعلوية والسفلية من البشر والجن والملك في الدنيا والآخرة في سائر خلال الخير ونعوت الكمال نبينا محمد ﷺ بإجماع جميع المسلمين إلا من لا يعتد بخلافهم .

قال السنوسي في شرح الوسطى والجزائرية ومما يدل على مزيد فضله كون الشفاعات والكلام له في الموقف الأعظم دون جميع ما سوى الله وأطال في ذلك بكلام منور أنظره إن شئت .

وثانياً : ما اشتهر في سبق نبوته على الكل وأخذ الميثاق عليهم أن يتبعوه إن أدركهم فمباديه ومناهيه وجميع أحواله قاضية بذلك ﷺ وهو مستثنى من الخلاف في التفصيل بين الملك والبشر لقوله ﷺ ((أنا أكرم الأولين والآخرين على الله – أى عنده ولا فخر)) أما من حيث أنه من النعم أى ولا فخر أعظم من هذا فيرجع للتحدث وأما من حيث ذات الفخر – اى ولا أقوله فخراً ولان أمته أفضل الأمم القوله تعالى ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾(1) ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً** ﴾(2) أى عدولاً لا خياراً ولاشك أن خيرية الامم إنما هي بحسب كمالها في الدين وذلك تابع لكمال نبيها الذي تبعته فتفضيلها تفضيل له ﷺ وأما قوله ﷺ لا تخيروني على موسى ولا تفضلوا بين الأنبياء

(1) سورة آل عمران : ١١٠ .

(2) سورة البقرة : ١٤٣ .

ونحوه فيحتمل أنه قاله تأدباً أو أن معناه لا تخيروني تخيير مفاضلة أي في ذات النبوة أو يؤدي لسؤ أدب وإلا فالواجب على كل مكلف اعتقاد أنه ﷺ أفضل الجميع فيعصى منكره ويبتدع ويؤدب ، إذا عرفت هذا الحكم المجمع عليه فمل عن الشقاق والمنازعة فيه واجزم معتقداً صحته لأنه لا يجوز الإقدام على خرق الإجماع .

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجب أن يعتقد أنهم يلونه في الفضل فمرتبتهم فيه بعد مرتبته وإن تفاوتوا فيها بالنسبة للقرب منه عليه الصلاة والسلام فمن ثم كان نداؤه بيا أيها النبى يا أيها الرسول وهم ينادون بأسمائهم يا زكريا يا إبراهيم يا موسى يا داود إلى غير ذلك .

قلت : وكانت عناية الله يوم موته فوق عنايته بهم يوم موتهم فقد قال السيوطي في شرح الصدور وأخرج الطبراني عن الحسن أن جبريل هبط على النبي ﷺ فقال : كيف تجد قال أجدني يا جبريل مغموما وأجدني مكروبا فاستأذن ملك الموت على الباب فقال جبريل هذا ملك الموت يستأذن عليك ما استأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك . قال : ائذن له فأذن فأقبل حتى وقف بين يديه فقال : إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها وإن كرهت تركتها قال : وتفعل يا ملك الموت قال :

نعم بذلك أمرت . فقال جبريل إن الله قد اشتاق إلى لقائك فقال رسول الله ﷺ امض لما أمرت به .

قال الشارح اللقاني وأميره : فبقية أولى العزم من الرسل أفضل من بقية الرسل والمراد أولو كمال العزم الخمسة محمد ﷺ وإبراهيم ونوح وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وإلا فأصل العزم ثابت لجميعهم فإنهم ومحمد ﷺ وإن لم يُبْتل بمثل نشر زكريا إلا أنه من حيث عموم بعثته كان مبتلى بهمّ هداية جميع الخلق بذلك فإن الفكر المتعب للقلب يتمنى التخلص منه ولو بالموت خصوصا وقد جبل على الرأفة بهم والرحمة ومزيد الشفقة يعز عليه ما فيه ضررهم مع تنوع مخالفتهم وكثرتها ومع تأثره بمقتضى كمال الأخوة بجميع ما حصل للرسل قبله فبسماع ابتلائهم يشاركهم فيه كما يشير لذلك قوله تعالى **﴿ وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾**[١] وضف لذلك ما كانوا يرمونه به ، وكسر رباعيته ، وشج جبهته وخضب وجهه بالدم ، وإخراجه من وطنه ومزيد الحروب وهذه بعض ما علم وإلا فحاله لكماله أخفى كثيراً من إبتلائه وإليه الإشارة بـ ((لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً))[٢] وكان لايزيد على التبسم متواصل الأحزان .

(١) سورة هود : ١٢٠ .

(٢) أخرجه الإمام احمد في مسند الأنصار ، ح٢٠٥٣٩ .

ثم بقية الرسل أفضل من أنبياء غير الرسل والواجب اعتقاد أفضلية الأفضل على طبق ما ورد الحكم تفصيلاً في التفصيلي وإجمالاً في الإجمالي ويمتنع الهجوم على التعين فيما لم يرد فيه توقيف وبعد الأنبياء في الفضيلة الملائكة فمرتبتهم تلي مرتبة الأنبياء عليهم السلام في الجملة لا تفصيلا لأن الذي يليهم عليه إنما هو رؤساؤهم كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل على أن تفضيل الأنبياء عليهم في الجملة ليس بمتفق عليه بل قال القاضي تاج الدين بن الإمام تقي الدين السبكي : ليس تفضيل البشر على الملك مما يجب اعتقاده ويضر الجهل به لو لقي الله ساذجاً من المسئلة بالكلية لم يكن عليه إثم فما هي مما كلف الناس بمعرفته والسلامة في السكوت عن هذه المسئلة والدخول في التفصيل بين هذين الصنفين الكريمين على الله تعالى من غير ورود دليل قاطع دخول في خطر عظيم وحكم في مكان لسنا أهلاً للحكم فيه وقد ورد ما يمنع من الدخوْل في ذلك كقوله عليه الصلاة والسلام : ((لا تفضلوني على يونس بن متى)) إذ المراد لا تدخلوا في أمر لا يعنيكم وإلا فنحن قاطعون بأنه أفضل من يونس عليه الصلاة والسلام والذي

ينشرح له الصدر ويبرد ويثلج له الخاطر إطلاق القول بـــأن نبينا محمد ﷺ خير الخلق أجمعين من ملك وبشـــــر وخـــير الناس بعد الأنبياء والملائكـــة أبو بكر ثم عمـــــر ثم علـــي رضي الله تعالى عنهـــم أجمعين . أ . هــ

ولكنه أشار ﷺ بقوله لا تفضلوني على يونس لنفي الجهـــة فـــإن يونس نزل به الحوت إلى قاع البحر ومحمد ﷺ ارتقى كما أنـــه ﷺ أشار بقوله : أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد لنفي جهة العلـــو كقوله تعالى ﴿ **واسجد واقترب** ﴾ أ . هــ كلامهما بحذف والله سـبحانه وتعالى أعلم .

هذا تمام ما يسر الله نقله وتحريره في هذه العجالة ردعاً لأهـل الجهالة عن قولهم بمنع تعظيم خاتم الرسالة بما اعتيد مما أقر تعظيمـــه ﷺ بمثله أو بما في معناه تمسكاً بشبه الضلالة اســـأل الله أن يجعلـــها خالصة لوجهه الكريم من كل ما يحبط الأعمال بلا محالة ، والصـــلاة والسلام على خاتم الرسالة ، يعمان صحبه وآله .

وكان الفراغ من تبيضها يوم الثلاثاء ١١ ذي القعدة من عـــام الألف والثلاثمائة والستين من هجرة سيد المرســـلين والحمـــد لله رب العالمين اللهم آمين .

الفهرس